الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ : ٢٢ اغسطس ٢٠٠٢

ما بعد ماشاكوس !

شغلنا ـ ولنا الحق ـ بالهم الفلسطيني!! فمانا يفعل المرء إذا وجد علي بابه كلبا عقورا شرسا!! يهدده في غدوه ورواحه!!

وقد أخذنا هذا الهم، حتي فوجئنا بهم آخر، يأتي من الجنوب. فبعد مباحثات ومفاوضات أحيطت بالسرية التامة، خرج علينا اتفاق ماشاكوس بين البشير وجون جارانج، كان أهم وأخطر ما ورد الإقرار بحق الجنوب في تقرير مصيره، بعد استفتاء بين الجنوبيين فقط، بما يحمله من احتمال قوي بحق الجنوبيين في الانفصال وإقامة دولة مستقلة عن الشمال، بمعني تقسيم وتقطيع السودان!! بل ان أخطر ما فيه، أنه تم تحت مظلة الولايات المتحدة، التي بدا أنها قد مارست ضغوطا لا قبل للسودانيين بها، وفي ذات الوقت بدا أن ذلك يدخل في إطار الخطط والمخططات الرامية الي اعادة رسم خرائط جديدة ـ ليس للسودان وحده، إنما تمتد الي المنطقة كلها!!

ولقد بدأت بعد ذلك، جولة أخري من المفاوضات، حول أهم وأخطر القضايا والموضوعات، والتي تدور حول تقاسم السلطة والثروة، وترسيم الحدود بين الجانبين!! أي أن عجلة التقسيم بدأت تدور وستظل تدور، حتى يتم الإعلان عن قيام دولة في الجنوب!!

وجاء ذلك كله بعيدا عن مصر، بل كان تغييب مصر أمرا متعمدا من كافة الأفراد، حتي دون إخطار، إكتفاء بالإخطار اللاحق، بعد ما تم كشف الستار عما كان مخفيا!! وجاء ذلك، كما لو أن حجرا ثقيلا قد سقط علي رأس رجل نائم، واستمرأ النوم اتكالا علي ما سمي بالمبادرة المصرية الليبية، واتكالا علي مقابلات فردية، مع أفراد من هنا وهناك، تنتهي دائما بكلام معسول. وصحا النائم، يتلفت هنا وهناك، كالدائخ من عنف الصدمة، وأخذ يطمئن نفسه، بأن أمامه ست سنوات، يري ويفكر ماذا يمكن له أن يفعل!!

ولا شك أن هدوء النفس في مثل هذا الأمر مطلوب وواجب، وإعمال العقل أيضا مطلوب!!

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فإذا كان ذلك كله قد جري من وراء ظهر مصر، فإنه أيضا قد جاء من وراء ظهر، كل القوي السياسية والاجتماعية في الشمال. لم يوقع الاتفاق سوي البشير ومن ورائه - إلي حد ما - حزبه: حزب الجبهة!! وإذا كانت هذه القوي مازالت في حالة الصدمة والدوخة، فإنها لابد وأن تتوافق، علي الحيلولة بين تحقيق هدف الخطط المرسوم، وهو فصل الجنوب عن الشمال وتمزيق وتقطيع وحدة التراب والشعب السوداني!!

كذلك فإنه إذا كان البشير وحده هو الذي وقع، فإن جون جارنج وحده هو الذي وقع، رغم أن الجنوب ليس فقط هو جون جارنج، إنما هو يمثل فصيلا قد لا يكون هو الأكبر والأقوي، فهناك فصائل أخري، وقبائل وعشائر عديدة، وهناك علاقات بين هذه الفصائل ومختلف دول الجوار، فالجنوب ليس مقفلا علي فصيل جون جارانج وحده!! ولا أحسب أن الخرفاء الذين اجتمعوا في ماشكوس قد أخذوا ذلك في اعتبارهم وفي حساباتهم عند التوقيع!!

ومن هنا، فإن الاتفاق الذي وقع بدا لنا، تحت تأثير خيالات وأوهام - فضلا عن الضغوط الأمريكية - أخذت تطوف بذهن البشير، في إتمامه لإقامة دولة أو إمارة إسلامية في الشمال، يكون هو علي رأسها، كما أخذت تطوف بذهن جارانج أن يكون له خط إقامة دولة في الجنوب، هو أيضا علي رأسها!! وإذا كانت جبهة جون جارانج قد شهدت انشقاقات سابقة عليه بل.. وعلي جيشه هناك فإنه بالتأكيد لن يكون سهلا عليه أن يواصل دوره في حلقة المخطط!! كذلك الأمر بالنسبة للبشير، فإذا كانت شرعيته في الشمال تقوم علي نجاح انقلابه، وتفتت القوي والأحزاب في مواجهته، فإن الأمر بالتأكيد لن يكون سهلا عليه أن يواصل دوره في ذات المخطط!! ومن جاء بالسيف مرة، فإن السيف سيرفع عليه أيضا، خاصة بعد أن تركت كافة القوي والأحزاب في الشمال خطورة الألعاب التي يقوم بها البشير!!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الكل في الشمال والجنوب، بدأ يحس ويدرك أن عجلة مخطط التقسيم إذا دارت، فإنها لن تقف عن حد فصل الجنوب عن الشمال، إنما ستمتد إلي أجزاء أخري في الشرق وفي الغرب أيضا، بما يودي بأحلام البشير في إقامة إمارة إسلامية، حيث ستتحول الي زاوية صغيرة، لن يكون هو إمامها!!

كما أنه يودي بأحلام جارنج، في إقامة دولة في الجنوب هو علي رأسها، إنما ستتحول إلي جيتو صغير محاصر بأكثر من جيتو من حوله!!

كذلك فإن دول الجوار وأهمها مصر علي وجه التحديد وليبيا ودول الجوار كلها ستحس بالخطر أن يمتد إليها سكين التقسيم والتقطيع!! وهي كلها - ومصر بالذات، لن تقف ساكنة تنتظر حانثات وتداعيات دوران عجلة التقسيم، وإعادة رسم الخرائط والحدود!! فمن يضمن لليبيا مثلا، ان يطال التقسيم جنوبها عن شمالها؟!

ومن يضمن لنيجيريا أيضا ألا يطالها التقسيم، هذه وغيرها رسمت حدودها وفق هوي الاستعمار، حتي غدت أفريقيا كلها كفسيفساء ضخمة، لن تعمد لمحاولات التهشيم!! ولن يكفي البشير، كما لن يكفي جارنج، أي ضمان أمريكي فالضمان الأمريكي دائما، هو شيك بغير رصيد!!

وإذا كان ذلك، فإن الذي يثير الغرابة، هو أن الاستفتاء الذي سيأتي، قبل البشير، أن يكون في الجنوب فحسب، دون أن تطوف بذهنه خاطرة، عن الشمال، فلماذا لا يشمل الاستفتاء الجنوب والشمال معا، فكلها بلد واحد وشعب واحد، أليس للشمال والشماليين مصلحة في هذا الذي يجري، أم أن البشير قد اختزل شعبه في نفسه وذاته وأحلامه وأوهامه!!

أما بالنسبة، لما يجرى من مباحثات في الجولة الثانية في ماشاكوس والتي تدور حول تقاسم السلطة والثروة وترسيم الحدود!! فالحق أن ذلك كلام أقرب إلي الهذيان والضحك علي الذقون!! فما هو المقصد من تقاسم السلطة، هل هو في إطار دولة واحدة وموحدة، أم هو في إطار دولتين سيتم رسمهما علي الورق!! إن ذلك ليس يعني إلا انسحاب الشمال من الجنوب فحسب!! وماهو المقصد من تقاسم الثروة! هل سيمنح الشمال حصة في نفط الجنوب، وهل سيمنح الجنوب حصة مثلا في أراضي الشمال الواسعة والمزروعة، وكذا حصة في المياه التي تأتي من الحبشة، لتسير في المجري حتي مصبه!! إن ذلك كله كلام لا يقدر عليه كل المجتمعين في ماشاكوس الثانية!! وهل يستطيع كل هؤلاء الإمساك بالخرائط ورسم خط الحدود بين الدولتين، وماذا عن السكان والقبائل، التي عاشت عمرها بل والتاريخ كله، متشابكة ومتنقلة ومختلطة بما لا يستطيع أحد فصلها وتقسيمها وإلا كنا نضع بذورا وجذورا لحركات انفصالية أخري!!

إن الذي يجري في ماشاكوس الثانية، ماهو إلا ضحك علي الذقون، وتلهية للطرفين، بل تلهية للجميع، بعد ما أقرت الولايات المتحدة إرساء مبدأ التقسيم، وهو مبدأ يثير الفوضي في العالم كله بغير ريب!!

وعودة إلي مصر وموقف مصر، فأحسب أن الحل الذي يجب أن يتبع وأن يكون هو سودان واحد، لا علم ولافتة له إلا أن السودان لكل السودانيين، بالحقوق المتساوية والواجبات المتوازية والمتوازنة، وأن الدين لله وحده الواحد القهار!! وهو بذاته الذي حمي مصر ووحدة شعبها وأرضها في سبيكة واحدة، يوم أن بدأ الاستعمار في لعبة الوقيعة والتشرذم، تحت حجة حماية الأقليات!! ووفي الله مصر ووفي الله السودان وشعبها، زلازل الأيام والأعوام المقبلة، وجراب الحاوي الأمريكي.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية